والفقر فإني أرزقكم وإياهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال
في أمر الرزق على الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبحون
الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل إن الأولى حمل لفظ الفواحش
على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لأن المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة
فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فإن السبب إذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي
قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي أن الإنسان إذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل ذلك على أن احترازه
عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به ونهاه عنه ولكن لأجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك
استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لأجل خوف الله وتعظيما لأمره استوجب رضوان الله وثوابه
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق حرم الله تعالى قتل النفس إلا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى
ولا تقربوا الفواحش وإنما أفرد قتل النفس بالذكر تعظيما لأمر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل إنما أفرده
بالذكر لأنه تعالى أراد أن يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش إلا بالإخراج فلذلك قال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد إحصان وهو الذي يوجب الرجم
(ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الأوامر
والنواهي المحرمات وصاكم به يعني أمركم به وأوجبه عليكم لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع
فتعملوا بها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح
له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو أن يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئا هذا إذا كان القيم بالمال غنيا غير
محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله أن يأكل بالمعروف حتى يبلغ أشده يعني احفظوا مال اليتيم إلى أن يبلغ أشده فإذا بلغ أشده
فادفعوا إليه ماله فأما الأشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب إلى حد الرجال قال الشعبي ومالك الأشد
الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الأشد هو ما بين ثماني
عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وقيل إلى أربعين وقيل إلى ستين سنة وقال الضحاك الأشد عشرون سنة وقال السدي
الأشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الأقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه
الآية إنما هي نهاية الأشد لا ابتداؤه والمراد بالأشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع إيناس الرشد وهذا هو
المختار في تفسير هذه الآية وقوله تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف
نفسا إلا وسعها يعني طاقتها وما يسعها في إيفاء الكيل والميزان وإتمامه لم يكلف المعطي أن يعطي أكثر مما وجب عليه
ولم يكلف صاحب الحق الرضى بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه
وإذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل إن الأمر بالعدل
في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان
فإذا الأمانة وغير ذلك في جميع الأقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد إلى عباده ووصاهم به
وأوجبه عليهم أو ما أوجبه الإنسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الآيات وصاكم به
يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به قوله عز وجل وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه يعني وأن هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته
لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل إن الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين

ما وصى

ما أوصى به منفصلا أجمله في هذه الآية إجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيها أيضا جميع أحكام الشريعة وكلما
بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الإسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين
وأمرهم باتباع جملته وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والأهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة
مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأديان المخالفة لدين الإسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق
المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية ذلكم وصاكم به يعني باتباع
دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات
محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن
دخل النار وعن ابن مسعود من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات إلى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم
آتينا موسى الكتاب يعني التوراة **فإن قلت** إتيان موسى الكتاب كان قبل نزول
القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك **قلت** دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أتل
ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا إلى قوله لعلكم تتقون ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب وقيل إن المحرمات المذكورة في قوله تعالى
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الأمم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما
وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد إيجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم
عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد إنا آتينا موسى الكتاب فحذف لفظ قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على
الذي أحسن اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماما
على من أحسن من قومه لأنه كان منهم محسن ومسيء ويدل على قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه
تماما على كل من أحسن أي أتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الأنبياء والمؤمنون أي أتممنا فضله عليهم بالكتاب
وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة
عليه لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر يعني العلم وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما
على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على إحساني إلى موسى وتفصيلا
لكل شيء يعني وفيه بيان لكل شيء يحتاج إليه من شرائع الدين وأحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة
ورحمة يعني أنزلناه عليهم رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب أنزلناه مبارك يعني القرآن لأنه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق إليه النسخ فاتبعوه
يعني فاعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا الغرض
بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى أن تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهة
أن تقولوا يعني أنزلنا إليكم الكتاب كراهية أن تقولوا إنما أنزل الكتاب وقيل يجوز أن يكون متعلقا بما
قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لأهل مكة والمعنى واتقوا يا أهل مكة أن تقولوا إنما أنزل الكتاب
اسم جنس لأن المراد به التوراة والإنجيل على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وإن كنا أي وقد
كنا وقيل وإنه كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيها لأنه ليس بلغتنا والمراد بهذه الآية
إثبات الحجة على أهل مكة وقطع عذرهم بإنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)